

الحلقة السابعة والستون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تسعى مستمعي للقيام بالوصايا والفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج ودفن الزكاة؟ وما هي نظرتك لهذه الفرائض؟ هل تشعر أنها ثقيلة عليك ومن الصعب القيام بها؟ وهل هناك برأيك من وصية أو فريضة أهم من الأخرى؟ وهل من الممكن جمع هذه الوصايا في وصية واحدة مهمة؟

كنا قد تأملنا في اللقاءات السابقة بعدة محاورات أجراها رجال الدين اليهود بفرقهم المنتسبة مع المخلص المسيح. وكان الفريسيون وهم فرقة دينية متزمتة، قد وضعوا أكثر من ستمائة وصية. وكثيراً ما كانوا يميزون بين هذه الوصايا، وأية وصية هي أكثر أو أقل أهمية. لهذا توجّهوا إلى المخلص المسيح طارحين عليه السؤال: عن أهم وصية في الناموس أي الشريعة؟ وكانوا بذلك يريدون كالعادة أن يمتحنوه ويصطادوه، ويوقعوه بالفخ. لكن المسيح استطاع أن يجيبهم بكل حكمة، وأن يسكتهم.

نقرأ في الإنجيل المقدس الحوار التالي الذي دار بين المخلص المسيح وواحد منهم: «وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ نَامُوسِيٌّ، لِيُجَرِّبَهُ قَائِلاً: «يَا مُعَلِّمُ، أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ الْعَظْمَى فِي النَّامُوسِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ» (بشارة متى ٢٢: ٣٤-٤٠).

لقد أراد هذا الناموسي من جماعة الفريسيين أن يجرب المخلص المسيح. ظاناً أن المسيح لن يستطيع إعطاءه الجواب، بسبب عدم ذهابه إلى أية مدرسة دينية ليتعلم عن الشريعة، ولهذا فهو لا بد أن يجهل الجواب. سنأمل الآن بإجابة المسيح البليغة هذه فابقوا معنا أصدقائي.

لقد أعاد المسيح الناموسي الذي سأله عن الوصية العظمى في الناموس، إلى كتاب التوراة في العهد القديم، مقتبساً أولاً من سفر التثنية. فقرأ له ما دُونَ هناك وهو: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ» (تثنية 6: ٥). وأردف المسيح قائلاً: «هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى». وتابع المخلص المسيح مقتبساً ثانياً من سفر آخر هو سفر اللاويين قائلاً: «وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (لاويين 1٩: 1٨). أي توجد وصية أولى عظمى وهي محبة الرب من كل القلب والنفس والفكر. وتوجد أيضاً وصية ثانية لها نفس الأهمية وهي محبة القريب كالنفس. وأضاف المخلص المسيح موضحاً: «بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ». أي إذا استطاع الإنسان أن يحفظ هاتين الوصيتين، يكون قد حفظ كل وصايا الناموس أو الشريعة. فهاتان الوصيتان تلخّصان الوصايا العشر، وكل الشرائع الأدبية التي أعطها الله لكليمه النبي موسى، وأيضاً ما تكلم به الأنبياء.

لقد دلّ المخلص المسيح بإجابته هذه على معرفته المطلقة بالشرعية الإلهية وبالعهد القديم. كيف لا وهو كلمة الله الأزلي الذي وُلد من روح الله القدوس. وأفحم بذلك الناموسي الذي سأله وأسكته. سنناقش الآن إجابة المسيح. ونسأل: لماذا تكون محبة الرب من كل القلب وكل النفس وكل الفكر هي الوصية الأولى والعظمى؟ وللإجابة نقول: بالطبع إن محبة الله الذي خلقنا وأعطانا نسمة الحياة هي واجبنا الأول. إذ نعلن بذلك أننا مديونون له بوجودنا، وأنا نطيعه وننفذ ما أمرنا به. ولهذا يجب أن تكون هذه المحبة من كل القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر، أي المحبة الحقيقية الكاملة. ولهذا سُميت بالوصية الأولى والعظمى.

أما بالنسبة للوصية الثانية العظمى وهي: **تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**، فهي تعني الكثير. فإذا كنت أحب قريبي كنفسي فأنا لا أسيء إليه أبداً. لأن لا أحد يسيء إلى نفسه. فأنا لن أسرق ماله، ولن أعتدي عليه، ولن أشتري أي أمر له، ولن أكذب عليه، ولن أشهد بالزور عليه. بل بالعكس أتمنى له كل خير. وهذا يعني بالتأكيد أنني أعمل بكل الوصايا العشر، والوصايا الأدبية التي أعطها الله قديماً، وبكل ما جاء في تعاليم الأنبياء. ولهذا قال المخلص المسيح: أنه «بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ». لعلّ السؤال الآن: هل بإمكان الإنسان أن يطبق هاتين الوصيتين حقاً في حياته؟

مستمعي العزيز، نعود لطرح السؤال: هل بإمكان الإنسان أن يطبق هاتين الوصيتين الهامتين حقاً في حياته؟ تجيبنا كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس بالقول: كلا، لا يمكن للإنسان أبداً أن يطبق هاتين الوصيتين. فهو ليس بإمكانه أن يحب الله من كل القلب، وليس بإمكانه محبة قريبه كنفسه. والسبب الرئيسي لذلك كما تقول كلمة الله، هو أننا جميعنا كبشر خطاة لا بل نحن مستعدون للخطية، ولا يمكننا بالتالي العمل بحسب الوصايا الإلهية. ولهذا نقرأ ما يلي: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ

مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (رومية ٣: ١٠-١٢).

صحيح أن الله قد أعطى الإنسان في القديم الوصايا لكي يسلك فيها. لكن الله أراد أيضاً أن يكتشف الإنسان الخاطئ عدم قدرته على تطبيق هذه الوصايا. وذلك لكي يدفعه لطلب رحمته وخلصه. ولهذا نجد أن الجميع بدون استثناء زاغوا وفسدوا معاً، وأنه ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد، كما تقول كلمة الله. لكن الله هيأ في نفس الوقت الخلاص للبشر جميعاً. إذ أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح لكي يموت على الصليب كفارة عن خطايانا، ويأخذ العقاب الذي كان يجب أن يقع علينا. وفي نفس الوقت لكي يمنح كل من يؤمن به وبموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة، الغفران الكامل والحياة الجديدة.

ولهذا نقرأ أيضاً ما يلي: «وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ.. بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ... مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٣: ٢١-٢٢، ٢٤). فهل تراك مستمعي تؤمن بهذا المخلص الوحيد الفريد؟ وهكذا يعطيك الله حياة روحية جديدة تستطيع العمل بحسب وصاياه!